القواعد اللغوية وسنة التطور

الدكتور داود عبده
جامعة الكويت

القواعد اللغوية تختلف ، كما هو معروف ، من لغة الى لغة . بل من لهجة الى لهجة . غير ان وجود قاعدة لغوية معينة فى لغة ما ، او لهجة ما ، لا يعني ان هذه القاعدة تظل حية الى الابد . فهناك كثير من القواعد تطبق فترة من الزمن ثم تجمد ، اي يتوقف تطبيقها على المفردات الجديدة التى تدخل اللغة . وساعرض فى هذا المقال عددا من القواعد الصوتية التى كانت موجودة فى اللغة العربية ، او بعض لهجاتها ، ثم توقف تطبيقها فى مرحلة لاحقة :

1 ــ تحول الـ P الى فاء :

لم يكن فى اللغة السامية الام فاء ، والفاء الموجودة فى العربية (والاثيوبية) عن P كما تدل الدراسات المقارنة بين اللغات السامية (1) وقد طبقت العربية قاعدة تحول أل P الى صوت مستمر اي الى فاء ، على الكلمات المقترضة من لغات اجنبية كما تدل الامثلة التالية :

فردوس ، فندق ، اسفنج (من اليونانية)
فرند ، فلفل ، فولاذ (من الفارسية) (2) .

غير ان الـ P قد اخذت فى العصر الحديث تتحول الى نظيرها المجهور ، اي الى باء ، كما تدل اسماء مثل باريس وباكستان الخ . ويبدو أن القاعدة الاخيرة قد حلت محل القاعدة الاولى منذ زمن طويل ، ففى العربية كلمات مقترضة من لغات اجنبية حولت فيها الـ P الى باء ، لا الى فاء :

---

1) انظر : S. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages, Weisbaden, 1964, pp. 24-25 and 43-45

2) اصل هذه الكلمات على التوالى هو : pandhokiyon, paradhisos Spongos يزيد parana بلبل pelpel پولاد Polad

وقد اقترضت الكلمة الاولى باعتبارها جمعا (فراديس) واشتق منها المفرد (فردوس) . انظر الامثلة السابقة وغيرها فى كتاب **غرائب اللغة العربية** لرفائيل نخله ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 1959 .

بطاقة ، بطريرك ، من اليونانية)
امبراطور ، بترول (من اللاتينية) (3)

2 — تحول الجيم الى ياء :

تحولت الجيم الى ياء فى بعض لهجات الخليج كما هو معروف ، فأصبحت رِيّال ، ريّال ؛ الجمعة: اليمعة ، الخ . غير ان هذه القاعدة توقف تطبيقها وهى لا تطبق الآن على الجيمات التى دخلت اللهجةفى مرحلة لاحقة سواء كان ذلك بانقلاب الجيم المصرية (g) ياء جيما ، كما فى جدر وجدام وجاسم الخ (4) او فى الكلمات المقترضة حديثا من لغات اجنبية مثل كراج ، او من الفصحى مثل جامعة . اي ان دخول قاعدتي تحول الجيم الى ياء ، والجيم المصرية الى جيم كان بالترتيب التالى :

اولا : ج ثم ي

ثانيا : (g) ثم ج

وهو ترتيب نستنتجه من واقع اللهجات ، لا من وثائق تاريخية . فلو كان الترتيب بعكس ذلك لتحولت الجيم فى مثل جدر وجدام وجاسم الى ياء ، فاصبحت يدر ويدام ، وياسم على التوالى ، ، لان القواعد الصوتية لا تميز بين الجيم الاصلية والجيم المنقلبة عن (g) اذا كانت مواقعها فى الكلمة واحدة .

وقد يقول قائل : ما دامت قاعدة تحويل الجيم الى ياء لم تعد مطبقة ، فلماذا لا يكف ابناء هذه اللهجات عن تحويل الجيم الى ياء فى الجمعة ورجّال الخ ؟ والجواب ان الياء فى اليمعة ورِيّال الخ . لا تعتبر بالنسبة لابناء هذه اللهجات محولة من جيم ، بل تعتبر اصلية . مرغم انها تاريخيا منقلبة عن جيم . الا انهم يتعلمونها باعتبارها اصلية فى الكلمات التى تقع فيها ، كالياء فى يد ويلعب . وهذا لا يختلف عن تعلم الفاء فى كلمات مثل فعل او فقد فنحن جميعا نتعلمها باعتبارها اصلية ، لا باعتبارها منقلبة عن P . ولكننا اذا عربنا كلمة جديدة من لغة اجنبية ، تحتوي علىP ، فاننا لا نحول هذه الـ P الى فاء ، رغم ان اسلافنا فى الماضى قد معلوا ذلك .

3 — تحول الذال والثاء والظاء :

تحولت الاصوات الثلاثة السابقة فى كثير من اللهجات العربية من اصوات مستمرة الى اصوات غير مستمرة ، اي الى دال وتاء وضاد على التوالى :

ذنَب (بفتح النون) ← دَنب

كثير ← كتير

عظم ← عضم

غير ان القاعدة السابقة قد توقف تطبيقها فى مرحلة لاحقة ، واصبحت الاصوات السابقة تحول فى الكلمات التى دخلت تلك اللهجات (من الفصحى او من لغات اجنبية) من اصوات غير صفيرية الى اصوات صفيرية ، اى الى زاي وسين وزاي منخمة على التوالى :

ذنْب (بسكون النون) ← زنب

ثمرة ← سمرة

عظيم ← عزيم (بزاي منخمة)

بل ان بعض ابناء هذه اللهجات يطبق فى عصرنا الحاضر القاعدة الاولى على كلمة ما فى حديثه العادي

---

3) انظر المرجع السابق .

4) الجيم التى تحولت الى ياء هى نفس الجيم الموجودة فى الفصحى ومعظم اللهجات العربية المعاصرة وقد كانت فى اللغة السامية الام جيما مصرية (g)

واما الجيم الموجودة فى **جدر وجدام وجاسم** الخ ، فهى تقابل القاف الفصحى (قدر ، قدام ، قاسم) والجيم المصرية (g) فى كثير من اللهجات البدوية والهمزة فى كثير من اللهجات العربية الاخرى . ولا بد ان القاف فى العربية الام قد تحولت الى جيم مصرية اولا ثم الى جيم ، اذ ليس من الطبيعى ان تتحول القاف وهى صوت لهوي غير مجهور ، الى صوت انفى حنكى مجهور دون أن تصبح قبل ذلك صوتا انفى حنكى مجهورا .

ويطبق القاعدة الثانية على الكلمة ذاتها حين يلفظها في معرض قراءة الفصحى (او التحدث بها) (5)

كثير	كتير (عامية)
	كسير (فصحى)
ذهب	دهب (عامية)
	زهب (فصحى)
ظل	ضل (عامية)
	زل (بزاي منخمة) فصحى

4) حذف الهمزة اذا كانت احد صحيحين متواليين فى بداية الكلمة :

مرت على اللغة العربية (او بعض لهجاتها) فترة كانت تحذف فيها الهمزة فى اول الكلمة اذا كانت « ساكنة » ، اي متلوة بصوت صحيح (كما فى **خذ** وكل ومر) او تالية مباشرة لصوت صحيح تبدأ به الكلمة (كما فى سل) :

أُخُذْ (ء خ ـُ ذ)	خُذْ (خ ـُ ذ »
سْأَلْ (س ء ـَ ل)	سَلْ (س ـَ ل)

غير ان هذه القاعدة لم تعد تطبق . وفى اللهجات المعاصرة لا تحذف الهمزة فى الموقعين السابقين ، كما يتضح من الامثلة التالية فى اللهجات التى تحولت فيها القاف الى همزة :

ئِلِب (ق ل ـِ ب)	إِلْب (وليس لِبْ)
ئْطَع (ق ط ـَ ع)	إِطْع (وليس طَعْ)
ئْصُف (ق ص ـُ ف)	أُصْف (وليس صُفْ)
ئْنَع (ق ن ـَ ع)	إِنْأَع (وليس نَعْ)

اي ان ما تطبقه هذه اللهجات هو القاعدة العامة التى تضيف « همزة وصل » وحركة منعا للبدء بـ « الساكن » ، اي تجنبا للبدء بصحيحين متواليين .

ويبدو ان قاعدة حذف الهمزة فى الموقعين السابقين لم تعم جميع اللهجات العربية القديمة ، فالفصحى تجيز **اسأل** الى جانب سل ، والامر الى جانب **مر** (6)

5 — حذف الهمزة «الساكنة» بعد همزة «متحركة»

من القواعد الصوتية المعروفة فى العربية قاعدة حذف الهمزة « الساكنة » اذ تلت همزة « متحركة » واطالة العلة القصيرة (الحركة) التالية للهمزة الاولى:

أَأْمن	آمن
إِأْلام	إيلام
أُأْمن	أومن

ولكن هذه القاعدة لم تعد تطبق على الهمزات التى دخلت اللهجات المعاصرة :

أَأْدر	آدر (وليس آدَر)
إِأْلب	إِلْب (وليس ايلب)

6 — القلب المكانى بين شبه العلة والعلة :

يقع فى العربية قلب مكانى بين شبه العلة والعلة التى من جنسها اذا وقعتا بهذا الترتيب فى منتصف الكلمة : (7)

يَقْوُل (ي ـَ ق و ـُ ل) يقول (ي ـَ ق ـُ و ل)
يستويْل (ى — س ت ـِ ـْ م ى — ل) يستميل
(ى — س ت — ـْ م — ي ل)

اما اللهجات المعاصرة التى تحولت فيها الجيم الى ياء ، فلا تطبق القاعدة السابقة على الامثلة التى

---

5) فى الواقع ان المتكلم لا يطبق القاعدة الاولى بالمفهوم الدقيق لكلمة « تطبيق » فما قلناه عن لفظ الجيم ياء فى بعض لهجات الخليج ينطبق هنا ايضا ، لان المتكلم تعلم كلمات مثل **دهب وديل ، وتالت وكتير ، وعضم وضل** ، على ان الدال والتاء والضاد فيها اصلية .

6) وقد ورد فى القرآن الكريم : « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » (لقمان : 31) « واسأل القرية التى كنا فيها » (يوسف : 21) الخ.

7) ثم تتحولان الى علة طويلة (ضمة طويلة او كسرة طويلة)

8) من اللهجات العربية التى تطبق قاعدة تقصير العلة الطويلة فى هذه الحالات اللهجة القاهرية وقد اصبحت الامثلة السابقة : **حلته واخترنى وحبيكم وظرفنا** (بزاي منخمة) على التوالى .

تحتوي على مثل هذه الياء .

يستعجل يستغيل (وليس يستغيل)

7 ــ تقصير العلة الطويلة :

تقصر العلة الطويلة فى العربية اذا وقعت قبل صحيح « ساكن » ، اي قبل صحيحين متواليين :

احتارْ + تُ احتَرْتُ (قارن : احتارتْ ، احتاروا)

يقولْ + نَ يقُلْنَ (قارن : يقولون ، يقولان)

يبيعْ + نَ يبِعْنَ (قارن : يبيعون ، يبيعان)

وفى معظم اللهجات المعاصرة لا تطبق القاعدة السابقة فى الامثلة التى طرأ فيها « السكون » (نتيجة سقوط الحركات الاعرابية) :

حالَتُهْ	حالته
اختارنـــي	اختارني
حبيبكـــم	حبيبكم
ظروفُنا	ظروفنا (8)

ويبدو ان قاعدة تقصير العلة الطويلة هذه قد توقف تطبيقها منذ أمد طويل جـدا . ففى الفصحى لا تقصر العلة الطويلة اذا تلاها صحيح « ساكن » نتج « سكونه » عن حذف العلة القصيرة الواقعة بيـن صحيحين مثلين :

حالِلْ ــ حالْ (وليس : حلْ)

ومما يؤيد هذا الاستنتاج ايضا ان العلة الطويلة فى الفصحى تقصر اذا وقعت قبل صحيح « ساكن » فى آخر الكلمة بشرط الا يكون ذلك « السكون » ناتجا عن حذف الحركة الاخيرة للوقف :

عصا (فعل) + تْ عصتْ

عصا (اسم) + نْ عصنْ (= عصاْ)

اما عند اسقاط الحركة الاخيرة للوقـف ، فان العلة الطويلة لا تقصر ، فـ **جوابْ** (بسكون الباء) لا تصبح **جَوَبْ** ، وكريمْ (بسكون الميم) لا تصبح **كَرِمْ** الخ

ونستطيع ان نستنتج من كل هذا ان توقف تطبيق قاعدة تقصير العلة الطويلة اذا وقعت قبل صحيح « ساكن » قد تزا من مع سقوط الحركة الاخيـرة فى اللهجات العربية ، سواء كان سقوطا نهائـيـا او للوقف .